

## على الخلاف

نالت مدينة حلب القديمة نصيباً مضاعفاً من المأساة. هُنا دُفع الثمن خراباً كبيراً للتراث العالمي، ودماً وقهراً وتشريدًا للسكان، وخسارات اقتصادية هائلة لواحدة من اعرق مدن الشرق الأوسط تجارياً. اليوم تدخل المدينة تحدي الترميم الذي يبدو مفرطاً بين طريقتين: العمل العشوائي والاستمجال بغية تحقيق «مكاسب» إعلامية، أو العمل وفق أسس علمية دقيقة والتعاطي مع الملف بوصفه مشروعاً وطنياً في الدرجة الأولى

## لا «سوليدير» جديدة لكن الخطر قائم

# هل تستعاد حلب القديمة؟

### حلب - صهيب عنجربني

من بين المواقع الأثرية السورية الكثيرة التي أصابتها لعنة الحرب، تبرز حلب القديمة بوصفها مدينة حية تشكل نسيجاً فريداً، كانت تضم مساحات سكنية كبيرة، وأسواقاً تدور فيها عمليات اقتصادية ضخمة (من أطول الأسواق المسقوفة في العالم)، علاوة على المباني الأثرية والتاريخية الفريدة التي تعود إلى حقب وطُرز معمارية متنوعة. اليوم، عليك أن تضع كل ما سبق بين قوسين وأنت تتجول في المدينة المنكوبة. تتأمل خراب سوق الزهراوي، أنقاض المكتبة الوقفية، تدلف من «سوق النسوان» الحاذي للجامع الأموي الكبير، تفكر في الوجهة التالية: نحو سوق الذهب؟ سوق العطارين؟ السقراطية؟... إلخ. صارت كلها متشابهة «بفضل الحرب». تحاول ذاكرتك استعادة صورة السوق وتفزعته، والاحتفاظ الدائم «أيام الخير» بصراخ الباعة ومساورات الزبائن المتنوعي الهياكل واللهاجات، القادمين من أحياء محافظة وأخرى منفتحة ومن قرى الريف. تسأل في سرك: «هل تستعاد؟»، ولا تجيب، فالغد وحده سيكون قادراً على تقديم إجابات شافية.

الدخول في تفاصيل الخراب المحيط بك، ومناقشة سبل ترميم ما يمكن ترميمه مع المختصين والخبراء سيحيلك إلى مستوى ثانٍ أقل سوداوية: يمكن إنقاذ الكثير،

شريطة اتباع قواعد ومعايير شديدة الصرامة والدقة. المدير العام للآثار والمتاحف مأمون عبد الكريم يبدو مسكوناً بهاجس أساسي طوال حديث «الأخبار» معه، وهو «ضرورة الحفاظ على أصالة النسيج العمراني لكل ما سيُرمم». يوضح عبد الكريم أنه بنتيجة الجولات المكثفة والمعائنات المبدئية التي أنجزت خلال الشهور الماضية، يمكن تقسيم المدينة تبعاً لحجم الضرر إلى ثلاثة مستويات (40% من المدينة القديمة وضعه جيد وشبه سليم، 30% متضرر بنسب متفاوتة وقابل للترميم، و30% وضعه مأسوي تماماً).

### مبانٍ وأبواب

بعد امتصاص صدمة المشاهد الأولى، سيكون بإمكانك مواصلة الجولة بهدوء وترؤ، لتحظى برؤية مبانٍ عريقة في حالات تراوح بين المقبول والجيد. على مقربة من «خان الجمرك» الذي أصيب بأضرار كبيرة، يطالعك «بيمارستان أرغون الكامل» في حالة جيدة. والبيمارستان مبنى أنشئ عام 1354 (فترة حكم المماليك) ليكون مشفى لمعالجة الأمراض العصبية اعتماداً على التأمل وصوت الموسيقى ونوافير المياه إلى جانب العقاقير الطبية. في حي الجلوم، تطالعك «كنيسة الشيباني» التي يعود إنشاؤها إلى القرن الثاني عشر، وهي أقل حظاً من البيمارستان، إذ طاولتها بعض

الأضرار، لكن ترميمها يبدو أمراً متاحاً. من بين المباني العريقة، التي تبدو شبه سليمة، يبرز أيضاً «جامع الشعيبية» وهو وفقاً لمعظم المراجع والدارسين «أول بناء إسلامي تمّ تشييده في حلب». يقع «الشعيبية» على بعد أمتار من «باب أنطاكية» وهو حسب بعض المؤرخين أقدم أبواب حلب القديمة، وسمي بهذا الاسم لأنه «أول الطريق إلى مدينة أنطاكية منذ أيام الدولة السلوقية في القرن الرابع قبل الميلاد»، ويعود تاريخ الباب بشكله الحالي إلى عام 1016م، جُدد عام 1389 وهو حالياً شبه سليم. يماثله في ذلك «باب قنسرين» الذي ترجح بعض المصادر أنه بُني زمن سيف الدولة الحمداني (القرن العاشر للميلاد) استناداً إلى نقش يذكر اسمه

## من بين الصعوبات التي تواجه عملية الفرز قلة اليد العاملة المدربة والخبرة

(لحقت أضرار متفاوتة الشدة بالسور التاريخي المجاور لباب قنسرين). «باب الحديد» أيضاً في حالة جيدة، ويعود زمن إنشائه إلى عام 1509م ويعود زمن إنشائه إلى عام 1509م. وخلافاً للآبواب الثلاثة، يبدو «باب المقام» في حالة مأسوية ومهدماً بشكل شبه تام، ويعود تاريخ إنشاء الباب إلى القرن الثاني عشر للميلاد. وبهذا

تكون المدينة قد خسرت واحداً من أربعة أبواب كانت متبقية من أبوابها التسعة (أنطاكية، قنسرين، الحديد، المقام، النيرب، الأحمر، النصر، الفرج، الجنان أو جنين باللهجة الحلبية).

### محيط القلعة وحي الجديدة

الأضرار في محيط القلعة كبيرة جداً، حيث نسفت مبانٍ بالكامل في عمليات تفخيخ وتفجير نفذها المسلحون (مثل مبنى الكارلتون، ومبنى السراي/ مقر المحافظة القديم في مواجهة باب القلعة). كذلك لحقت أضرار كبيرة جداً بجامع السلطانية، المدرسة الخسروية، وبدرجة أقل خان الشونة. القلعة في حد ذاتها سليمة بمعظم أجزائها، باستثناء أضرار طاولت الحسب الخارجي، ودمار لحق ببرج من الجهة الشمالية. في الجهة المعاكسة لباب القلعة، لحق دمار كبير بمبنى تاريخي بُني ليكون داراً للبلدية عام 1907، حُول لاحقاً إلى مقر لفرع «الهجرة والجوازات» قبل أن يُخلى ويُعرض للاستثمار السياحي عام 2007. تهذم المبنى عام 2012.

مقابل المبنى، ستلاحظ حركة دؤوبة لترميم مبنى تاريخي ملكيته خاصة، وهو مطعم «بيرويا»، ليكون أول منشأة سياحية بدأ أصحابها العمل على ترميمها في المدينة القديمة. يتحفظ صاحب المطعم عبدالله عجم عن الخوض في أي تفاصيل حول عملية الترميم، مدفوعاً بهواجس تحكم جزءاً كبيراً من الشارع الحلبي في العلاقة مع الإعلام. ينافس حي «الجديدة» التاريخي محيط القلعة من حيث حجم الدمار. تضررت مبانٍ كثيرة في الحي الواقع خارج السور القديم، مثل متحف التقاليد الشعبية (دار أجق باش) ومتحف ذاكرة المدينة (دار غزالة)، ويقول المدير العام للآثار والمتاحف مأمون عبد الكريم لـ«الأخبار» إن «المديرية خصصت مبلغ 150 ألف دولار من موازنتها لترميم هذين المبنىين الاستثنائيين، وقد بوشر في إنجازات الدراسات اللازمة». في الحي نفسه، مُحيت معالم «ساحة الحطب» الشهيرة بشكل شبه كامل، علاوة على أضرار كبيرة لحقت بمعظم الفنادق التراثية

### مرد ماشي

تغريبة جديدة شهدتها الأراضي السورية خلال الأيام الفائتة، بخروج أعداد من أبناء بلدتي كفريا والفوعة الإلبيتين من منازلهم، تاركين مزارعهم وأشجار زيتونهم، التي لطالما عمّ إنتاجها على سوريا وبلداتها. خرجوا يحملون معهم ذكريات قديمة عن أيام الخير والجلال الوفيرة وحسن الجوار، تلتها كوابيس أيام الحرب والصواريخ والحصار، وسط تحول علاقات الجيرة إلى اقتتال وتناحر. بقي الطبيب علي المصطفى مدير مشفى كفريا، مع قلة من أفراد الفريق الطبي وبعض الأهالي واللجان الشعبية المدافعة عن القريتين. يقول الطبيب إن «الوضع موحش. عددنا بات قليلاً والعدو من كل الجهات،

أهوالك شائعة مر بها أهالي كفريا والفوعة الخارجين من وجم الحصار إلى حضن الدولة المقتد. فقد الأرض التي صمدوا فيها طويلاً، والتفجير الذي استهدفهم في حي الراشدين في حلب، وفوضى استقبالهم في مراكز الإيواء بين حلب وحمص واللاذقية، زادت من المهم وحينئذ هم إلى بلداتهم



يخلف الإيحاء بالعودة إلى البلدتين من شخص لأخر (أف ب)

## تقرير

# أهالي كفريا والفوعة: زرعنا أراضينا.. من سيجنيها؟

ونخشى عدم التزامهم بالهدنة أيضاً». ويجيب عن سؤال حول موعد خروجه المتوقع: «أنا آخر شخص يخرج من كفريا». يقول الطبيب المختص في الجراحة العامة، والذي اضطر إلى العمل في جميع الاختصاصات خلال الحصار، إن 5 أطباء فقط بقوا من كادر المشفى الطبي. وكان لدينا مشفى مجهز ويراعي أصول التعقيم، غير أن الصواريخ باتت تصل إلى غرفة العمليات، ما اضطرنا إلى نقل معداتنا والتواجد في غرفة تحت الأرض واستخدامها كمشفى ميداني». لا ينكر الرجل الصبور خيبة أملة في النهاية الحزينة، ويشرح بالقول: «كنا موعودين بقدم الجيش والحلفاء إلينا. إنما لا بديل في النهاية عن الرحيل».